# الكتاب

تأليف : نورموراد هارنجانوف

ترجمة : رمزى يسى

ارسلنى معهد الآداب التابع لأكاديمية العلوم للبحث عن المخطوطات والكتب القديمة ، فطوح بى القدر الى صميم صحراء كاراكوم . ووصلت فى أحد الأيام الى مزرعة لتربية الأغنام تقع فى بقعة منخفضة بين الرمال . وقد أثار وصولى الى ذلك المكان الفضول المعتاد فى مثل هذه الأحوال . وحاول كل من هناك أن يعرف من أنا ، ومن أين أتيت ، وسبب مجيئى الى مزرعتهم فأوضحت لهم كل ذلك .

وقال لى رئيس المزرعة الذى استضافنى ان جاره العجوز فلمورات — أغا يملك كتابا من الكتب القديمة التى جئت للبحث عنها ، فهو كتاب نادر يستحق أن يسعى المرء الى الحصول عليه والاحتفاظ به فى صندوق من الذهب .

ووجدت فلمورات — أغا فى بيته ، وهو رجل مسن ذو لحية ملفتة للنظر تغطى كل صدره ، فرحب بى ترحيبا رقيقا ، ولكن عينيه الحادتين ، عينى صياد السمهوب ظلتا تحدقان فى طوال الوقت ، وأخيرا قال لى برقة :

— اقترب من النار أيها الشاب الطيب » ثم لم يلبث أن انهال على بالاسئلة :

— من أين أنت ؟

فاجبته عن سؤاله

— أين ولدت ؟ أين تقيم قبيلتك ؟ وماذا تعمل ؟

ورويت له قصة حياتى فى ايجاز ، واخبرته أن معهدا من معاهد البحوث ارسلنى للبحث عن الكتب النادرة .

فقال : « آه ، هذا شىء عظيم »

وأخذ يمشط لحيته الطويلة وهو يتفرس بامعان فى وجهى مرة أخرى ، ثم التفت الى زوجته وقال :

— ناوليني الكتاب .

ونهضت المرأة العجوز وأخرجت من كيس مصنوع من السجاد معلق على أحد قوائم الخيمة ، مجلدا ضخما ملفوفا بقماش حريرى ذى ألوان زاهية ، وقدمته لزوجها فى وقار كأنه ذخيرة مقدسة . وتفرس فلمورات — أغا فى وجهى مرة أخرى ثم بدأ حديثه قائلا : « ان كانت مهنتك حقيقة كما ذكرتها فانك ستعرف قيمة هذا الكتاب على التو .

كان الكتاب ... المجلد الضخم الثقيل مربوطا بقماش بال لايزال يحمل

بقايا رسوم لازهار قرمزية اللون ، وعلى كل صفحة من صفحاته نحـــو عشرين سطرا مكتوبة بمـــداد أحمر فى لون الكرز ، من الخطوط العربيـــة المنمقة الواضحة ، ويبدو أن الكاتب الذى نسخ الكتاب يعرف خبـايا مهنته على الوجه الأكمل ، فقد كانت الحروف على أبعاد متســـاوية ومتسعة كبذور النبات فى جرابها . كما يبدو واضحا أن الكتاب قد تداولته أيد كثيرة لأن أوراقه ناحلة وعليها آثار أصابع لا حصر لها ، تركت بصماتها السوداء على هوامش الكتاب .

وقلبت أوراق المخطوط وأمعنت النظر فى كثير من اللهفة بين سطوره ... انه من ذلك الطراز الذى قضى أصـــحاب مهنتى ليالى ســـاهرة فى البحث عنه ، وتنقلوا من مزرعة الى مزرعـــة يطرقون آلاف الأبواب . وربما أكون قد زرت مئات من القرى فلم أعثر على مخطوط آخر مثل هذه النسخة ، ولكنى حاولت اخفاء اعجابى بهـــا ما وسعنى ذلك . وسرعان ما أدركت أن فلمورات ــ أغا يعرف قدر الكنز الذى يحتفظ به ، اذ قال لى : « ان كل كلمة من هذا الكتاب تســـاوى ناقة » . ولكى أختبره قرأت فقرات منه بصوت مرتفع ، فاذا به يذكر مايليها من سطور ، من الذاكرة ودون تلعثـــم . ثم أضـــاف : « والآن هل توافقنى على أن هذا الكتاب يستحق أن يوضع فى صندوق من الذهب كما قلت لك ؟ » .

ثم مضى يتغنى بقصـــيدة يظهر أنها كانت من القصائد المحببة الى نفسه ، ثم قال فى زهو : « ما رأيك فى هذه ؟ انك كلما أمعنت فيهـــا انشـــادا كلما استحوذت على وجدانك » .

لقد كان محقا تماما . ومع ذلك فقد تحيرت كيف أستطيع الحصول على هذا الكتاب ، وكان من الواضح أنه لن يبيعه أبدا ، كما كانت زوجته وتابعه يقدران الكتاب قدرا عاليا مثله تماما . وقررت أن أتظاهر بعدم الاكتراث ،وغيرت مجرى الحديث فسألته عما اذا كان قومه عازمين حقا على الانتقال الى « أمو داريا » حيث يستقرون هناك فى بقعـــة زراعية » ، فأجاب الرجل العجـــوز عن سؤالى ثم سرعان ماتحول الى موضوع الكتاب الذى كان يفخر بملكيته ، وحرصـــه عليه . وعندئذ تركته الى رئيس المزرعة انتصح برأيه ، قلت :

ــ « قل لى كيـــف أستطيع التحايل عليه ، لأننى أخشى ألا يسمح لى بنسخ صورة منه فضلا عن بيعه لى ؟ ! »

ــ « ان كنت شـــديد الرغبـــة فى الحصول على الكتاب فما عليـــك الا أن تتحايل عليه أنت بنفسك حتى تنجح ، أما أنا فأملى قليـــل فى نجاحك ، ولا أستطيع معاونتك » .

فى ذلـك المســـــاء ذهبت لزيارة فلمورات ــ أغا مرة أخـرى فرحب بى ترحيبا كبيرا ثم قال :

ــ « اننى واثق أن من يرى كتـــابى مرة ، فانه لابد أن يعود الى ... انك لست أول من فعـــل ذلك ولن تكـون الاخير » ثم ناولنى الكتاب وهو يقول:

«ها هو ذا الكتاب ، اقرأه ان شئت»

وكان لابد لى من الاشارة الى الغرض من زيارتى على الأقل ، فبدأت حديثى وأنا أتحسس طريقـــى الى اقنـــاعه ، فقلت :

ـ « هل تحتفظ بهذا الكتاب منذ أمد طويل ؟ » ٠

ـ « أربعون عاما ٠٠٠ نعم يا بنى »

ـ آه ، وهـذا هو السبب فى أنك تحفظ بعض أشعاره عن ظهر قلب !! ٠

فصحح عبارتى قائلا :

ـ «لا ، ليس بعض أشعاره وحسب، بل كل أشعاره كلمة كلمة ، فأنا أستطيع أن أتلو جميع أغانيه بترتيب كتابتها من الغلاف الى الغلاف ، لأن كلماتها منقوشة فى ذاكرتى » ٠

وتسمرت عينا فلمورات ـ أغا ناحيتى ، وشعرت بارتباك شديد ، وحاولت السيطرة على اهتزاز صوتى وأنا أقول له : «اطلب أى ثمن تريد فى مقابل هذا الكتاب ! » ٠

واعترى الرجل العجوز تغير طفيف ، فقد اتسعت عيناه ولمعتا لمعانا غريبا ، وامتقع وجهه وكساه الاصفرار ٠ وانزعجت زوجته ، وخطف فلمورات ـ أغا الكتاب من يدى وناوله لها وهو يقول فى حزم : « أبعديه من هنا !! »

ثم تفرس فى وجهى مرة أخرى وقال بصوت رقيق : « أيها الشاب الطيب ، ألم تخبرك زوجتى وأنا ، أن هذا الكتاب لن يفلت من بين أيدينا ؟ انك ضيفى وأنصحك من أعماق قلبى ألا تطلب الكتاب ، فان وافقتك أنا ، فسترفض زوجتى ، وان رضيت هى فلن أرضى أنا وكذلك لن يوافق أحد من رجال المزرعة ٠٠٠ حتى فى أثناء المجاعة لم يساورنا أى تفكير فى بيع الكتاب ، حين لم يكن فى بيتنا كسرة خبز ٠

وتريث قليلا ثم تابع حديثه كأنه يكلم نفسه :

« هل أروى لك كيف حصلت عليه ؟ انى لم أذكر ذلك لأحد من قبل ، ولن تجد أحدا يعرف هذه القصة سواى أنا وزوجتى » ٠

وأخذ يروى قصته ، فقال :

« انى فى الخامسة والستين ، أى أن هذا الكتاب فى حوزتى منذ أربعين عاما ، وكنت آنئذ راعيا للاغنام كما كنت دائما ، ولم أكن قد رأيت كتابا فى حياتى ٠٠٠ ومهما كان الأمر فقد تزوجت وأقمت خيمة لعائلتى واشتريت ناقة ٠ ولما كنت مقبلا على مواجهة الحياة فقد قررت قضاء الشتاء فى مخزن غلال، وحملت ناقتى صوفا وفحما ورحلت الى « أركاتش » وهى فى الجزء الجنوبى من تركمانيا ٠ ولما كنت لا أعرف أحدا هناك فقد قضيت ليلتى فى بيت الرجل الذى اشترى منى الصوف والفحم ، وكان موسرا مشهورا بين قومه ٠ وامتلا بيت الرجل فى المساء بالضيوف القادمين من المزرعة ٠٠٠ شباب وشيوخ ، وقد اجتذب أحدهم انتباهى بأناقة ملبسه ووجهه الأحمر المكتنز ولحيته العريضة٠ وقال له المجتمعون : أيها « الملا الموقر » نلتمس منك أن تقرأ لنا شيئا وناولوه كتابا ، ولكن ( الملا ) رفض رجاءهم ، وقال ان مؤلف هذا الكتاب رجل مجنون وغير أمين ، امتلأ رأسه بأفكار دنيوية ، وكتابه هذا يعلم الشر والرذيلة ، وخير لكم أن اقرأ عليكم من كتابى هذا ٠٠٠ »

وأخرج مخطوطا من تحت ردائه ، وتبرع أحدهم للملا بهدية فأذعن لطلبهم ولكن الضيوف رفضوا ذلك بعناد ،

وظل يقرأ حتى جاوز منتصف الليل بساعات عدة . واستمعت اليه فى رهبة ونسيت كل شىء تحت الشمس ، ولم أعرف ماذا دهانى ، فكيف يمكن لرجل يجلس هنـــاك وينظر فى صفحات من الورق كأنها تحمل قصة حياته ؟ ولكنى عندما أصغيت عن قـــرب تبين لى أنها أشبه ماتكون بقصة حياتى أنا ، مست الكلمات البسيطة أعماق قلبى ، ولم أك أتخيل قط أن كتابا ما يبلغ هذا الحد من الاثارة أو يستطيع أن يتحدث عن الحياة بكل هذه الحكمة فيجعلك تشعر بكل شىء وتفهمه . ولقد فكرت كما تفكر أنت اليوم ، فى أن مثل هذه الأشياء لا تشترى أو تباع ، ولا يمكن أن تحدد لها قيمة أو ثمن على الاطلاق . وكان قلبى يتحرق شوقا . وقلت فى نفسى ، اذا كان لهذا الكتاب ثمن أستطيع أن أدفعه ، فلابد لى من شرائه .

وفى صباح اليوم التالى سألت مضيفى عما اذا كان الكتاب الذى قـــرأه علينا ( الملا ) بالأمس باهظ الثمن . فأجابنى وهو يضحك : « ان هذا الكتاب ليس له ثمن محدد ، فهو ليس منديل سيدة أو كيس فحم ... انه شىء يتعذر تقدير ثمنه » .

فالححت عليه أن يحاول بكل وسيلة تقدير ثمنه ، فتبادل مضـيفى النظرات مع رجل آخر كان بالغـــرفة ثم ضحك وقال : « ان ثمنه يساوى ناقة ... ناقة جيدة » .

ولعله كان يمـــزح ، ولكنى تمسكت بكلمته وشعرت بالابتهاج ، وقررت دون تردد ، التنازل عن ناقتى التى حملتنى الى « أركاتش » فى مقـــابل الكتاب ، وقلت :

« خذ ناقتى . وهى ناقة لطيفة ، ومعها صغيرها ، واعطنى الكتاب » .

فوافق على ذلك قائلا : « حسن جدا ... اترك ناقتك وخذ الكتاب واذهب فى رعاية الله » .

وهكذا ألقيت آخر نظرة على ناقتى ، ووضعت الكتاب بين طيات ثيابى وسرت على الأقدام ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى وصلت الى موطنى مهدود الجسم متورم القدمين حيث قابلتنى زوجتى عند الباب بصيحة عالية :

« أين ناقتنا ؟ ماذا فعلت بها ؟ » .

فأجبتها : « انتظرى ، خير لك أن تبتهجى لا أن تبكى ... لقد قدمت لنا ناقتنا خيرا كثـــيرا ... لقد منحتنا هذا ... » وأريتهـــا الكتاب قائلا : « انظرى ... ان كل كلمة فيه تساوى ناقة .

ـ وتفرســـت زوجتى فى الكتـــاب وتحسسته بجبينها ومسحته معتقدة أنها أمام شىء مقدس ، ثم تفحصته فى شىء من الارتباك والحيرة دون أن تعرف هل تضحك أم تبكى ! وعرفت أنها لابد كانت تذكر الناقة ، فقد كنا فقيرين ، وكانت الناقة قـــوام حياتنا وأملنا الوحيد فى الحياة .

ورويت لها قصة تلك الليلة حين كان يقرأ لنا « الملا » الكتاب ، وكيف كنا نصغى اليه جميعا حتى أننى لم أستقر فى مكانى لحظة لشدة انفعالى . وتلوت عليها كلمات مما علق فى ذهنى ، فامتلأت عيناها بالدموع وهى تقول :

ـ « لقد بعت الناقة دون مقابل ، وذهب أملنا الوحيد » .

ـ وشعرت فجأة بالحزن لشرائى الكتاب ، فماذا أفعل ؟ لقد اقترح على شخص ما أن ألجأ الى رجل كنا نعتبره حكيما وسألته أن يدلنى على من يستطيع قراءته ، فسألنى فى دهشة : « ولكن كيف وصل الى يدك هذا الكتاب ؟ »

قلت : « لقد اشتريته ، ولكن بثمن بخس » .

فابتسم لى وهز رأسه فى شىء من الاشفاق وقال : « حتى لو كنت أخذته دون مقابل ، فأية فائدة ترجوها منه ، ومن سيقرأ لك هذا الكتاب » .

ـ وسارت الأمور من سيء الى أسوأ ، واستطلعت رأى غيرى من الرجال فى المزارع المجاورة ، فكانت الاجابة التى لم تتغير هى « أنك راع فقير ، فأى عبث هذا الذى تحمله فى رأسك !! وعدت الى بيتى حيث كانت زوجتى دائمة البكاء والثرثرة ، فتناولت كنزى ووضعته فى كيس ، ودفعته تحت كومة من أشياء أخرى . وقلت فى نفسى : « لعل العين لا تقع عليه هنا ، ولعلنى أستريح من القلق ! .

وهكذا ظل الكتاب فى مكانه عاما .. عامين .. سبعة أعوام وظلت زوجتى تندب ناقتنا طوال هذا الزمن : « آه ، كم كانت ناقتنا لطيفة ... ناقة ولود لو بقيت لكان لدينا منها ثلاثة ابل ولأصبحنا الآن أثرياء فلا نقيم لهموم الدنيا وزنا » .

وقالت زوجتى يوما بينما كنا نشرب الشاى : « ان الملا ، أو الايشان هو الذى يستطيع القراءة ، فمن الخير أن نرسل ابننا « موراتجان » الى واحد منهما يعلمه حتى يستطيع القراءة . ويقال ان أكتشى ـ ايشان أكثر الناس علما ، فلنرسل اليه ابننا ليتقن القراءة والكتابة فى خمس سنوات ، وبذلك نحل مشكلتنا فى داخل بيتنا دون ما حاجة الى التماس العون من الخارج .

لقد ابتهجت لكلمات زوجتى ، بل أنا نفسى كنت راغبا فى تعلم القراءة والكتابة مهما كلفنى ذلك ، وصحبت الصبى الى أكتشى ـ ايشان ، وكان الصبى آنئذ فى الثامنة من عمره .

وقلت له : « قدمت اليك من بلد بعيد ، ولى عندك رجاء متواضع ... هل أستطيع أن أعهد اليك بتعليم ابنى القراءة والكتابة ؟ ومادام عندك ، فليكن كما يقول المثل ، جسمه لك وعظمه لى ، فاضربه ان احتاج الأمر ، وليعمل ماتريده أن يعمل ، ولا أريد الا أن تعلمه وحسب » .

وشجعنى الايشان بقوله :

ـ « لقد أحسنت باحضار ابنك الى ، فمن أكل من ملحى لابد أن ينشأ رجلا دا اعتبار ، وسترى ماذا سأصنع منه ... انك لن تعرفه حين تعود بعد أربع سنوات .

وصدقت الايشان ، وعدت الى موطنى على أجنحة الأمل ، وقلت لزوجتى :

ـ « لا تحزنى ، فسنقضى أربع سنوات كيفما تكون ، ثم سترين هل كنت مخطئا أم لا ؟ »

ـ ومضت ثلاث سنوات وبضعة شهور ، وظننت مورانجيان قد تعلم شيئا ، فسافرت اليه فماذا رأيت ؟ رأيت ابنى يعمل من الفجر الى المساء ..

لم يتعلم قـــراءة ولا كتابة ، بل عجبت كيف لم يفقد عقله ·· لقد انفجر بالبكاء حالما رآني ·

ـ وقال لى متوسلا : « خذنى معك الى موطنى ·· ان اكتشى ـ ايشان ليس جاهلا وحسب بل انه لا يعـرف شيئا مطلقا عن العلم والتعليم ·

ـ ولطمت الصبى على فمه اذ كان من الاثم أن يقال مثـــل هذا عن الايشان ، ولكن مورانجيان ازداد نحيبـا وهو يقول :

« اذا لم تاخذنى الى وطنى يا أبى فانى سأهرب !! لا أريد البقاء هنا »

ـ لقد ساورنى القلق وصممت على الوقوف على جلية الأمر بنفسى ، زرت أحد الجيران وســـألته عن « اكتشى ـ ايشان » ·

ـ يظهر أن مورانجيان كان على حق حين قال انه بحاجة الى التعلم ·· ذلك أن ايشان لم يكن يعرف القـــراءة ولا الكتابة ، ولكن الغـــريب فى الأمر أنه أقوى بكثـــير من الملا المتعلمين ، ولعل سبب ذلك أنه ينتمى الى أسرة قوية كانت تشتهر بأعمال السحر فيما مضى ، فكان سكان القرية لا يذكرون اسم أحد من أفرادها الا فى كثير من الخوف ، ولم يجـــرؤ أحد أن يتحدث عنهم بسوء ، ولكن أى نوع كان هذا السحر ؟؟

لقـــد قص على الجـــار مرة معجزة حدثت فى المزرعة ، وهى أن ملاحا سرق حـــزمة من الدريس من جد اكتشى ـ ايشان وحملها على ظهره ومضى الى بيته ، ولكنه لم يستطع أن ينزع حمله من على ظهره ، فنادى ابنه لينزعها فعجز أيضا · ولما يئس اللص عـــاد الى الحقل ليرد ما سرق ، ولكن حمله ظل عالقا بظهره · فأخذ يتجول فى القرية نادما على فعلته الى أن بلغ بيت صاحب الحقل فدخل وتوســـل اليه أن يغفر له ذنبه قائلا : « لقد ارتكبت اثما يا ايشان ـ أغا وظللت طوال الليل أحمل اثمى على ظهرى ونفسى حزينة معـــذبة ، فلتغفر لى ذنبى ليخف ألمى ··· دع الدريس يفارق ظهرى » ·

فغفر الايشـــان للص وأرسله الى المكان الذى سرق منه ، فسقط عنه حمله بكلمة واحـــدة منه ·· ان الأكتشى ـ ايشـــان يستخدم الملح فى ســـحره ، ويكفيه أن ينفخ فى قبضة من الملح ويردد بعض الكلمات الســـحرية لكى تحمل العاقر ويشفى المريض » ·

وعندما سمعت هذا استقر رأيى على ألا أترك ابنى ليتعـــلم النفخ فى الملح ، فصحبته معى الى موطنى وجعلته يعمل بالأجر فى رعى الماشية · ومرت سنوات عدة ، ثم رحلنـــا الى مراعى جديدة ، وعدنا فى الخريف الى هـــذا الوادى ، وكان الكتاب قابعـــا فى مكانه داخل الكيس ، وكنت أخرجه بين حين وآخر لأقلب صفحاته فى حـــزن وأسى ··· كنت أجلس كما كان يجلس الملا وأمسك بالكتاب بين يدى كما كان يفعل ، وأشير الى كلماته بأصبعى ، ولكن الكتاب كان يظل صامتا ··· لم يكن يفعل شيئا غير اثارة الحزن فى قلب زوجتى فتقول : « لو لم تفعل ما فعلت لكان لدينا الآن قطيع من الابل !! »

وتابع فلمورات أغا حـــديثه قائلا : « ثم أقبـــل اليوم السعيد حين وصل سلطان السوفييت الى المزارع ، وأقبل علينا المدرسون يحملون الكتب ، وجاء الى مزرعتنا معلم ، وأخذ يجمع الصغار

والكبار الراغبين فى تعلم القراءة ، واستمالنى منذ اللحظة الأولى فحدثته عن كتابى ، فطلب الى أن أعيره اياه يوما أو يومين ، وحين أعاده قال لى :

«لقد حققت صفقة رابحة يافلمورات ـ أغا فهو من أثمن كتب التركمان المخطوطة ارسل ابنك الى مدرستى فأعلمه القراءة والكتابة ، ولن أعهد اليه بجمع الحبوب أو جلب الماء ، اذ أننى لست بحاجة الى الأيدى العاملة ... سيذهب ابنك الى المدرسة لعدة سنوات ، ثم يجلس هنا فى بيتك ليقرأ هذا الكتاب لوالده ووالدته .

وجدت مورانجيان هنالك فى السهوب يرعى الماشية ، فطلبت منه أن يعود الى الدراسة ، وقلت له : « عندما تتعلم القراءة فستقرأ لأبيك الكتاب الثمين الذى نحتفظ به منذ سنين » .

ـ ولم يكن مورانجيان راغبا فى شىء من هذا ، فأجابنى قائلا : « لا ، لا أريد رؤية الملا ولا الايشان مرة أخرى .. »

ـ فأفهمته أن سلطان السوفييت قد وصل الى المزارع والمدن ، وسوف لا تستطيع زوجة اكتشى ـ ايشان أن تكلفك بجلب الماء ، وأن المدرس الجديد لن يكون الملا ، وأن الحكومة الجديدة قد أرسلت الى المزرعة مدرسا لتعليم الناس . ونجحت أخيرا فى اغراء مورانجيان بالذهاب الى المدرسة واستطاع أن يعيش بيننا ويساعد أمه ، ويتعلم القراءة والكتابة شيئا فشيئا . وأصبح ولدنا مورانجيان الآن مديرا لمزرعة المواد الغذائية فى المنطقة المجاورة .

وعندما تعلم ولدنا القراءة ، أخرجت الكتاب فقرأه لنا من الغلاف الى الغلاف، وأدركت آنئذ أن الكتب لا تكتب فى السماء ، بل ان معانيها فى متناول أفهامنا ، وحتى هذا الكتاب يضم أناشيد كنا نغنيها نحن الرعاة فى اقليم السهوب ، ولكن معظم الأشعار تتحدث عن الخير والشر والحق ، وشجاعة الانسان حين يدافع عن سعادته .. وعلمت آنئذ أن الملا الذى قرأ الكتاب لم يوضحه لى ، ولكن حين قرأه ابنى ونحن فى بيتنا أحسست بكل ماتضمنه من جمال وعندئذ فقط اقتنعت زوجتى وجميع سكان المزرعة أن فلمورات ـ أغا قد أحسن صنعا حين باع ناقته مقابل هذا الكتاب .

والآن أيها الشاب اللطيف ، لعلك عرفت ماقاسيناه طوال تلك السنين ، فمن يجرؤ على أخذه منى بعد أن يعرف كل ذلك ؟ اليك الكتاب الآن .. اقرأه كما تشاء ، ولأطول وقت تريد ، ولكن لا تحاول انتزاعه منى .

وانتهى فلمورات ـ أغا من قصته بعد منتصف الليل بوقت طويل ، ولم تجد أية محاولة لاغرائه ببيع الكتاب ، حتى أنه لم يصغ الى حين طلبت اليه أن يعيرنى هذا المخطوط لأطبعه كتابا فى مدينة « أشخاباد » فيستطيع بذلك كل واحد من فلاحى المزرعة الحصول على نسخة منه ، على أن أعيد اليه المخطوط بعد شهرين أو ثلاثة. ورأيت من العبث أن أتحدث اليه فى هذا الشأن مادام الكتاب يؤثر فى كل شىء فى حياته . ومع ذلك انتهزت فرصة مواتية فتجاذبت معه أطراف الحديث :

ـ فلمورانت ـ أغا !

ـ نعم

ـ اننى سألتمس منك جميلا تسديه الى ...

ـ أى جميل أيها الشاب ؟

ـ ان سمحت أن تبيعنى ... ؟

ـ فقاطعنى بضحكة ، وهو يمشط لحيته الطويلة بكلتا يديه . ولكنه لم يغضب فى هـــذه المرة لأنه لم يحمل حديثى محمل الجد . وقال :

ـ « لا ، ياضيفى العزيز ، لن أبيعه ، ففى هذه الحياة أشياء ليست للبيع »

ـ « ولكن شخصا آخر سبق أن باعها لك » .

ـ « لقد كان هو الخاسر ! ثم ضحك مرة أخرى

كنت أريد أن يتـــأكد فلمـورات ـ أغا أننى لا أســـتطيع أن أرحل صفر اليدين ، ولذلك تحدثنا طويلا ، حديثا جادا ، وأخيرا قال فى اشفاق :

ـ « أيهـــا الشاب الطيب ، ان كان كتابى يروقك الى هذا الحد ، فاجلس هنا وانسخ منه صورة » .

ومكثت أسبوعين بالقـرب من مدفأة فلمورات ـ أغا أنسخ مخطوطته الثمينة ، وكان يجلس بجانبى فى معظم الأوقات يملى على من الذاكـــرة ، وكان يتأملنى أحيانا وأنا أؤدى واجبى . وكثيرا ماكان يقول :

« لقد تعلمت القراءة قليلا ، ولكنى أخشى ألا أستطيع الكتابة مطلقا » ويردد هذه العبارة مرات .

وكانت زوجته تقـــدم لنا الشاى الأخضر ونوعا من الخبز يطلقون عليه (الشوريك) ، وتحضر لنا بين حين وآخر ابريقا من شراب قوى يصنع من لبن الابل بعـــد تخميره ... وأصبحنا صديقين .

ان القصائد التى احتفظ بها فلمورات ـ أغا أربعين عاما كتبها شاعر تركمانى شهير اسمه « مختوم كولى » وهو الذى وضع أســـاس كل آداب التركمان القديمة .